

## (الساعة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف)

إن الساعة كما تطلق على ساعة الآخرة ويوم القيمة تطلق أيضاً على ساعة هلاك الأمم ويوم اضمحلالها في الدنيا. وعلى ساعة الأقوام كذلك. وساعة الأفراد أيضاً كنسبة موت بعض الأفراد من الناس وأن كان المفسرون كلهم لا يفسرون الساعة في القرآن والحديث إلا بساعة الآخرة ويوم القيمة مع أن القرآن والحديث قد يريدان منها الساعة أو اليوم الذي يحدث فيه حادث كبيرة في الدنيا كنسبة أو يوم هلاك الأمم أو اضمحلالها بسبب حرب أو زلزال أو ريح صرصر أو قلب عاليها سافلها أو غير ذلك من أسباب التعذيب والتشتيت والاضمحلال أو الفناء والإبادة والدمار.

## (الأحاديث النبوية التي تفيد أن الساعة تطلق على غير ساعة القيمة في اليوم الآخر)

إن أدلة على ما أقول من الأحاديث والآيات القرآنية كثيرة. أما الأحاديث فمنها قوله (ص) (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة) وفي بعض الأحاديث الأخرى ما يفيد أن كثرة شرب الخمور والزنا وتقشى المعاصي والموبقات هو أيضاً من علامات الساعة فإذا أردنا من الساعة ساعة هلاك وأضمحلال وإنقراض الأمة التي وسدت الأمور فيها إلى غير أهله وكثرت فيها الموبقات والمعاصي والمظالم وال MFasد يكون ذلك قريباً جداً، وموافقاً للمشاهد المنظور في كل أمة وسدت الأمور فيها إلى غير أهله من أنها تتلاشى وتختفي بسبب ذلك سنة الله في خلقه، لأنه يوجد ارتباط قوي وترتبط حقيقى بين اختلال أحوال الأمة وعدم حسن القيام بإدارتها السياسية والاقتصادية والصناعية والزراعية والت التجارية والعلمية وغيرها الناشئة عن توسيع هذه الأمور إلى غير أهلهما، وبين انفراطها وأضمحلالها وتلاشيهما بل موتها وفنائهما ومجيء ساعتها، لأن كل نوع من هذه الأنواع وغيرها، بل كل أمر من الأمور إذا قام به من لا يقدر على القيام به فإنه لا تأتي منه الفائدة المطلوبة، ولا تتحصل منه المنفعة المقصودة، فتحتل أحوال هذه الأمة باختلال مرافقها فتقرب ساعة اضمحلالها أو هلاكها.

فهذه مرتبة على تلك ترتبت المسبب على السبب والمعلول على العلة وناشئة عنها نشوء الأثر عن المؤثر والنتيجة عن المقدمات فيكون معنى هذا الحديث ظاهراً واضحاً وموافقاً أيضاً تمام الموقفة لقوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق علينا القول فدمرنها تدميراً) أي إذا أردنا إهلاكها نظراً لفسادها واحتلال أحوالها أمرنا مترفيها أمرنا تكوبينا أي كوننا الفسق بهؤلاء المترفين وأوجدناه بأيديهم ورغبتهم، وجعلناه بواسطتهم ونفذتهم، أي جعلنا مترفيها أمراء عليها قائمين بأمورها وإدارة شؤونها حيث تمكنا من ذلك وتشبثوا به بواسطة هذا الاختلال والفساد (فسقوا فيها) أي ظلموا وتعدوا على أهلهما وأكلوا حقوقهم وصرفوها على مصالحهم الشخصية سداً لعزوز ترفهم، وقضاء مشتهياتهم ووسدوا بقية أمور هذه القرية إلى أمثالهم من يفسدوا إدارتها، ويسندون بقية الوظائف إلى غير مستحقها دون نظر للمصالح العمومية، ولا اكتئاث لما يترب على ذلك من المضار الوطنية، وال MFasد والمهلكات القومية، فليس المراد من الفسق هنا الفسق الشخصي الذي لا يتعدى ضرره فاعله، بل المراد به الفسق الاجتماعي كالظلم والتعدي، والغش والخداع والفساد، وعدم الاتحاد، وإسناد الوظائف إلى من لا يستحقها. وإعطاء الأعمال إلى من لا يحسن القيام بها لأن هذا هو الذي يضر بالهيئة الاجتماعية ويفتك بمصالح القرية العمومية (تحقق عليها القول) أي استحق أهلها العذاب لتسببيم فيه ورضائهم به، وتقصيرهم في أنفسهم وإهمال أمورهم وتركها في أيدي مترفيهم (دمرنها تدميراً) إما بإهلاكهم وإفانائهم أو بإضعافهم وملائاتهم وأضمحلالهم أو بإفقارهم وإذلالهم وذلك جراء اختلافهم وانقسامهم على أنفسهم. فأنت ترى أنه بهذا البيان قد تتطابق معنى الحديث بمعنى آية القرآن وأصبح كل منهم يفسر معنى الآخر.

فهذه الآية حينئذ قد بينت معنى الساعة في الحديث من أنها هي ساعة دمار الأمم وهلاك القرية إذا ولـي أهله فيها، بإمارة مترفيها، حتى فسقوا فيها، بخلاف ما إذا أردنا من الساعة في الحديث الساعة الكبرى وهو يوم القيمة فإنه يكون بعيداً من وجود:

(أولاً) كـم ولـي الأمر إلى غير أهله في هذه الأمم الموجودة وغيرها من قبلها ولم تقم الساعة الكبرى لحد الآن.  
(ثانياً) إذا ولـي الأمر لغير أهله في أمة أو أكثر أو في قطر أو مملكة فإنه لا يكون كذلك في الأمم والممالك والأقطار الأخرى، سنة الله في خلقه من سقوط أخلاق أمة وارتفاع أخلاق أمة أخرى، وحينئذ فما وجه قيام القيمة ومجيء الساعة الكبرى وخراب العالم بأجمعه بسبب تولي أمور أمة واحدة أو أكثر إلى غير أهلها مع وجود أمم كثيرة ولـيت فيها أمورها إلى أهلهـا.  
(ثالثاً) أنه لا يوجد أي علاقة ولا أدنى ارتباط بين تولي حتى كل أمور جميع الأمم إلى غير أهلهـا وبين خراب الكائنات وفساد الأرض والكواكب والسماءـات، فإن فساد أحـوال الأمم وذنوب أفرادها إنما يؤثر فيها فقط لعلاقتها بهـم لا في الأجرام العلوية أو السفلية التي لا سـبيل لتأثيرـ مثل أعمال هؤـلاءـ فيها، وحينئذ فالـأولـى أن تـقـسـرـ السـاعـةـ فيـ الحـدـيـثـ بماـ قـلـناـهـ تـصـدـيقـاـ لهـ منـ جهةـ، وـتـطـبـيقـاـ لهـ علىـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ منـ جـهـةـ أـخـرىـ، فـهـذـاـ الـحـدـيـثـ لاـ يـعـنـيـ السـاعـةـ الـكـرـيمـةـ وـلـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ الـعـظـمـيـ وـإـنـماـ يـعـنـيـ سـاعـةـ هـلاـكـ الـأـمـمـ فـيـ الدـنـيـاـ وـيـوـمـ قـيـامـتـهـ.

ومن هذه الأحاديث الدالة على ذلك أيضا قوله (ص) (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار إلى إصبعيه أي متقاربين متلاصقين كهاتين الأصبعين. وهذا يدل على أن الساعة المراد في هذا الحديث إنما هي ساعة هلاك العرب المشركين كما حصل فعلًا في الدنيا لا ساعة الآخرة التي لم تحصل لحد الآن بل ربما لا تحصل إلى بعد دهور وأجيال. وحينئذ فلأين هذا التقارب والتلاصق، ومن هذه الأحاديث أيضا قوله (ص) (لا تقوم الساعة إلا على لкуن بن لکع) أي لا تقوم ساعة هلاك أي أمة من الأمم إلا على أيدي اللکع أبناء اللکع منهم، وذلك بسبب اختلافهم وتنازعهم في أمرهم. هذه هي بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

### (الآيات القرآنية الدالة على ما أقول)

أما الآيات القرآنية الدالة على ذلك فإننا سنذكرها على حسب ترتيبها في السور وإن كان المتأخر منها قد يكون أصرح في ذلك من المتقدم.

#### (الآية الأولى) (في سورة الأنعام ٤٠)

(فَلَأَرِيْكُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُكُمْ السَّاعَةَ أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فِي كِشْفِ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءُوْنَ مَا تَشْرِكُونَ) فإن هذه الآيات وما بعدها أيضًا تشير إلى أن المراد من الساعة هنا نوع عظيم من العذاب في الدنيا يضطرهم إلى أن يدعوا الله لا غيره ليكشفه عنهم وإن الله قد يكشفه عنهم إن شاء وإنهم عند حصول هذا العذاب ينسون في دعائهم ما يشركون من دون الله. وهذه الأمور إنما تحصل في الدنيا. وأيضاً بدليل قوله تعالى عقبها على وجه المثال (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم فأخذتهم بالأساء والضراء لعلهم يتضررون إلخ..) وحينئذ فالمثل له يكون في الدنيا كالمثال ويكون العذاب المذكور في الآية أولاً حيث أن هذه الآية تقيد أن هناك عذابين عذاب عادي يكون الغرض منه الإنذار والتنبيه كبعض المصائب والويلات العادلة وعذاب آخر عظيم جداً غير عادي يكون الغرض منه الهلاك والاضمحلال التام الذي يسمى بعذاب الساعة وكلاهما قد يحصل للأفراد أو الأمة جماء في الدنيا. وهذا لا ينافي أصلاً ساعة يوم القيمة في الآخرة.

#### (الآية الثانية) (في سورة يوسف ١٠٧)

(أَفَمُنَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ غَاشِيَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةَ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أي هل أمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم شيء من عذاب الله يغشاهم في الدنيا أو تأتيهم ساعة هلاكمه وأضمحلالهم كلها في الدنيا أيضًا، أي هل أمنوا أن يأتيهم بعض العذاب الجزئي الذي فيه إنذارهم أو يأتيهم العذاب الكلي بعنته الذي فيه إهلاكم بالمرة وكلا الأمررين اللذين توعدهم الله بهما قد حصل لهم في الدنيا. وحينئذ فلفظ الساعة كما يصح إطلاقه على عذاب الآخرة يصح إطلاقه على عذاب الدنيا أيضًا.

#### (الآية الثالثة) (في سورة الحجر ٨٥)

(وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةً فَاصْفَحُ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) إن الله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما جرى من العذاب في الدنيا لقوم لوطن قطع دابرهم وجعل عليهم سافلهم وإمطار الحجارة عليهم، وما جرى لأصحاب الأيكة أيضًا وهم قوم شعيب، وما جرى لأصحاب الحجر أيضًا وهم قوم صالح، وكل ذلك كان في الدنيا. ثم ذكر تعالى ما سيجري لقوم محمد (ص) من المشركين فقال (إن الساعفة لآتية فاصفح الصفح الجميل) أي أنه سيجري لمشركي قومك من العذاب في الدنيا مثل ما حصل للأمم قبلهم وإن ساعة هلاكم لآتية فاصفح لأن عنهم صفحًا جميلاً حتى تأتي هذه الساعة لهم كما أنت لغيرهم. هذا ما يفيده سياق هذه الآيات.

#### (الآية الرابعة) (في سورة طه ١٥)

(إن الساعة آتية أكد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) إن الله تعالى لما أراد إنقاذبني إسرائيل من عبودية فرعون وقومه نادى موسى من الواد المقدس طوى وقال له أنا اخترتاك لهذه المهمة وغيرها مما يكون فيها إسعادك وإسعاد قومك في الدنيا والآخرة فاستمع لما يوحى إليك في هذه الشؤون (إنتي أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) على هذه النعمة الكبرى التي سأوليك إياها وهي إنقاذ قومك وقهر عدوك (إن الساعة آتية) أي إن ساعة إسعادك وإسعاد قومك وإهلاك فرعون وقومه على هذا الوعد بل تسعى جهداً لك أن تجزى كل نفس بما تسعى) أي إنتي أريد إخفاتها الآن حتى لا تتكل أنت وقومك عليها ونتيجة جهادها فلا يصدقنك عنها من لا يؤمن بها ولا يصدق بما يحصل فيها من ضعفاء الإيمان وجناه القوم الذين يتبعون أهواءهم وأغراضهم الخصوصية ويخلدون إلى الراحة والعبودية (فتردى) أي فتلهك وتقتل في مهمتك وتشقى أنت وقومك. ومما قدمناه يظهر للقارئ أن المراد من الساعة هنا هي ساعة الدنيا التي انتصر فيها موسى وقومه وقهر فيها فرعون وقومه لأن سياق الكلام في حديث موسى من أوله إلى آخره يشعر بذلك ويبعد إرادة ساعة الآخرة.

### (الآية الخامسة)

#### (في سورة الحج ٥-١)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهب كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) قال المفسرون: إن المراد من الساعة في هذه الآية هي يوم القيمة في الآخرة، واختلفوا في وقت وقوع هذه الزلزلة فقال بعضهم إنها تكون قبيل يوم القيمة وهي المقصودة من قوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزلها) وتكون مع طلوع الشمس من مغربها. وإنما أضيفت للساعة لكونها قربة منها لأنها من إمارتها وإشرافها. وقال بعضهم: إن هذه الزلزلة إنما تكون في نفس يوم القيمة أي اليوم الآخر.

ولكنني أقول إن المراد بها هنا حادثة مفجعة تحصل للمسلمين في الدنيا بدليل قوله تعالى في نفس هذه الآية (يوم ترونها تذهب كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملها) إذ لو كان المراد بها يوم القيمة لما صح هذا لأنه لا يوجد حمل ولا رضاعة في ذلك اليوم.

وإنني أرى أن المراد بها هو ما أشار به النبي (ص) حين نزول هذه الآية من ذكره أمر ياجوج وماجوج وما يحصل للمسلمين من أضرارهم وللعرب من شرورهم. والأحاديث الأخرى دالة على أن المراد من ياجوج وماجوج هم التتر الذين اكتسحوا بغداد دار السلام ومقر عظمة الإسلام. ومن يطالع تاريخ ووقائع هذه الفاجعة العظيمة والمصيبة الجسيمة التي نزلت بال المسلمين والعرب أجمعين على يد جنكيز خان وهو لا كوا وغيرهم من ملوك التتر الذين كانوا هم السبب في ذهاب مجد المسلمين والعرب وسقوط دولها وضياع علومهم وكتبهم التي رموا بها في نهر الدجلة والفرات ليختذلوا جسر يمررون عليه إلى الجانب الآخر ويطالع أيضاً ما حصل في تلك الواقعة من إراقة الدماء ومن أنواع الفطائع والفحائح يعلم مقدار هول ذلك اليوم وزلزلة تلك الساعة ومقدار عدد الحوامل اللاتي وضعن حملهن والمرضعات اللاتي ذهلن عن رضائهن ويتحقق أن الناس في ذلك الوقت كانوا في أمورهم حيارى، سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله وانتقامته منهم شديد حيث هجروا قرائهم وتركوا تعاليمه وتبانه وبندوا وصباياه واتبع كل فريق من أهل السنة والشيعة في بغداد حزبه وهو اه فقد فرق أمرهم وغلب عليهم عدوهم، ويعلم أيضاً ما تزيد هذه الآية الحكمة القرانية وما تشير إليه هذه النبوة الصادقة الإلهية. ويتحقق أن المسلمين في ذلك الوقت لو أطاعوا هذه الآية في أمرها لهم بالقوى وسلكوا صراط الدين الأقوم والأقوى واعتصموا جميعاً بحبل الاتحاد وابتعدوا عن جبائل التفرقه وإشكال الفساد وتمسکوا بحبل الإسلام واتبعوا أوامر القرآن لما حصل لهم ما حصل في ذلك الزمان ولا في غيره من سائر الأزمان.

ويؤيد ما قلناه في تفسير هذه الآية قوله (ص) في الحديث الشريف (أتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي مجدها بنوا قنطراء) وبنو قنطراء هم التتر من الترك فهم أول من سلب أمته العربية مجدهم وملكهم كما هو..... في التاريخ. وحينئذ فهذه الآية تكون إنذار للأمة العربية بمجيء هذه الساعة الأليمة التي ذهلت فيها المرضعة عن رضيعها وأسقطت الحامل حملها وجعلت الناس كأنهم سكارى من شدة ما حصل لهم في هذه الموقعة.

هذا ما أفهمه في المراد من هذه الساعة في هذه الآية.

### (الآية السادسة)

(في سورة الحج ٥٤)

(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَعْدَتْهُ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) أي لا يزال الكافرون في شك من القرآن أو من الرسول حتى تأتيهم الساعة بعدها أي تأتيهم ساعة هلاكهم وأضلالهم في الدنيا نتيجة إصرارهم على عدم الإيمان به أو يأتيهم عذاب يوم عقيم أي لا خير فيه ولا ثمرة ولا نتاج له كالمرأة العقيم. والمراد به يوم حربهم للمسلمين الذي أرادوا فيه إظهار شوكتهم وقوتهم فلم يظفروا بشيء من ذلك كما أن المراد من الساعة هي ساعة هلاكهم وأضلالهم أي لا يزالون في شك من الإسلام حتى يأتيهم اليوم الذي يظهر فيه ضعفهم وعجزهم عن مقاومته أو تأتي ساعة هلاكهم بالمرة في أحدي الحروب الكبيرة وكلاهما أي الساعة واليوم العقيم حاصلان في الدنيا، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) أي سيعلمون ذلك عندما يروا تأخرهم وذلهم وانخذالهم ويرروا نقدم المؤمنين وزعزهم وانتصارهم في الدنيا، وقوله في آية أخرى (فانتظروا إني معكم من المنتظرین) قوله (فَلَمَّا تَرَبَصُوا بِنِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبَّصِينَ) وقد حصل في الدنيا فعلًا ما هو معروف في التاريخ من اعتراض المسلمين وانخذال المشركين مصداقاً لهذه الآيات.

### (الآية السابعة)

(في سورة المؤمن ٤٥)

(فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فَرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارِ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَدْوَا وَعَشِيَا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخُلُوا آلَ فَرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) إن هذه الآية تقييد أن الله تعالى قد حاق بآل فرعون سوء العذاب فعلاً أي سوء عذاب الدنيا وشدائدها ومصائبها التي كانوا يعرضون عليها غدوًا وعشياً بارسال القمل والضفادع والدم والجراد والطوفان والستنين أي القحط فكانت هذه المصائب تتناوبهم غدوًا وعشياً.

ونفيء أيضًا أن إدخالهم في أشد العذاب أي في العذاب السابق قد كان بإهلاكهم وإنائهم كلباً بغرقهم في البحر كما تشير إلى ذلك كله آية الأعراف القائلة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْطَّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٌ مُفْصَلَاتٌ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا مُجْرَمِينَ، وَمَلَأَ وَقْعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهْدَتْ لَنَّا إِنَّكَ شَفِتَ عَنَا الرِّجْزَ لَنَّا مُؤْمِنُونَ لَكَ وَلَنْرَسْلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجْلِهِمْ بِالْغَوَّهِ إِذَا هُمْ بِأَغْرِقَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ، وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعْفِفُونَ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّ الْحَسَنِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمْرَنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) فهذه الآيات من سورة (الأعراف) تفسر المراد من الساعة الواردة في سورة المؤمن. لأن القرآن يفسر بعضه ببعضه. وحيثئذ فتفسير هذه الساعة بما قلناه يكون أقرب من تفسير المفسرين لها باليوم القيمة. وإن كان لا مانع من تفسيرها بذلك أيضًا.

### (الآية الثامنة)

(في سورة فصلت ٤٦)

(من عمل صالحاً فانفسه ومن أساء فعلها وما ربك بظلم العبيد. إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أثني و لا تضع إلا يعلم) أي أن العمل الصالح المفيد في الدنيا يعود بالمنفعة على عامله كما أن العمل السيئ يعود بالضرر عليه وهذه المنفعة أو المضررة كما تكون في الآخرة تكون في الدنيا أيضاً كما هو الواقع المشاهد الملموس. وعليه فيصح تقسير قوله تعالى (وليه يرد علم الساعة) بساعة انتفاع الإنسان ومضرته في الدنيا بعمله الصالح أو السيئ، ولكن علم الوقت وال الساعة التي تحصل فيها هذه المنفعة أو المضررة للإنسان في الدنيا مردود إلى الله إذ لا يعلم المستقبل سواه، كما أن إيجاد هذه المنفعة أو المضررة في القوت المخصص لها في الدنيا مردودة إليه أيضاً.

ومما يدل على أن ذلك في الدنيا قوله تعالى بعدها (وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أثني ولا تضع إلا بعلمه) حيث أن هذه الأشياء حاصلة في الدنيا فكذلك ما ذكر قبلها من الانقطاع بالعمل الصالح والتضرر بالعمل السيئ يكون في الدنيا أيضا حتى تكون الآية على نمط واحد وبمعنى واحد.

(الآلية التاسعة)

(فِي سُورَةِ الشُّورِيٍّ ١٤)

(والذين يحاجون في الله بعد ما استجيب لهم حاجتهم داحضة عند ربيهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، والله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدرك لعل الساعة قريب يستجعل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفون منها ويعلمون أنها الحق وألا إن الذين يمارون في الساعة ففي ضلال بعيد) أي أن المشركين الذين يجادلون وحاجون الله عليهم غضب من ربهم ولهم عذاب شديد حيث أن الله هو الذي أنزل الحق والميزان ليعاقب الناس وبثبيتهم حسب ذلك. وحيثئذ مما يدرك لعل ساعة عقاب لهؤلاء وعذابهم وغضب الله عليهم يكون قريباً. والتعبير بالقرب يفيد أن ذلك سيحصل لهم في الدنيا، ولكن الذين لا يؤمنون بمعاملة الله للناس الحق والميزان ولا يتربكون ساعة عقابهم وعذابهم على أعمالهم فهو لاء يستجعلون بها لظفهم عدم وقوعاً بهم وعدم عدل الله فيهم. وأما الذين يؤمنون بذلك فهو لاء دائماً يتربكون بهذه الساعة ويشفون من وقوعها بهم عند أي عمل سيئ يعلمونه خوفاً أن ينزل بهم العقاب القريب حسب ما وعد الله لأنهم يعلمون أن ذلك حق وعدل وأن الذين يمارون في الساعة العقاب على الأفعال السيئة في ضلال بعيد. وحيثئذ فهذه الآيات بحسب سياقها وفحواها بل بحسب منطوقها ومفهومها تقييد أن المراد من الساعة هنا إنما هي ساعة عذاب الله وغضبه في الدنيا وإنزال إحدى المصائب والويلات أو بالوقوع في مهاري الذل والهوان والاستبعاد والاضححال والتعasse والشقاء أو الدمار والفناء كما حصل للمشركين على أيدي المؤمنين. ويبعد جداً أن يراد من الساعة هنا يوم القيمة كما يدعى المفسرون.

(الآية العاشرة)  
(في سورة الزخرف ٦١)

(وإن لعلم للساعة) الضمير في قوله (وانه راجع إلى عيسى في الآيات قبله أي أنه عالمة لمجيء الساعة، حيث انه يبعد جداً أن يراد بالساعة هنا يوم القيمة للزوم قرب العالمة من المعلم عليه قرباً يصح كونها عالمة عليه لزم حينئذ أن تفسر الساعة هنا بما حصل علا في الدنيا من ساعة هلاك اليهود أي قوم عيسى حينما لم يؤمنوا به.

(الآية الحادية عشرة)  
 (في سورة الزخرف ٦٦)

(فاختلاف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم، هل ينظرون إلا الساعة أن تأتיהם بعثة وهم لا يشعرون، الأخلاء يوم إذن بعضهم عدو إلا المتقين) إن هذه الآية واردة في قوم عيسى عليه السلام أى أن قومه قد اختالفوا فيه

أحزاباً فقال بعضهم إنه هو الله وبعضهم ابن الله وبعضهم ابن زنا إلى غير ذلك من الأقوال المؤلمة فويل هؤلاء الطالمين من عذاب يوم أليم هل ينتظرون إلا الساعة أي ساعة هلاكم بعذاب هذا اليوم الأليم الذي يكون فيه الأخلاط بعضهم عدو بعض بسبب اختلافهم وتزبدهم لعقائدهم الفاسدة وعند بعضهم عصياً . وهذا قد حصل في الدنيا أيضاً في محاكم التعذيب المشهورة وغيرها.

(الآية الثانية عشرة)  
(في سورة الزخرف ٨٥)

(وعنه علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه شفاعة) أي أن علم ساعة هلاك وأضحم حال هؤلاء الأحزاب القائلين بأن عيسى عليه السلام أو ابنه أو ابن الله هو عند الله، ولا يملك الذين يدعونهم من دون الله عيسى أو غيره الشفاعة لأنفسهم ولا لغيرهم في دفع عذاب هذه الساعة التي فيها هلاكهم وفتاؤهم وأضحم حالاتهم وإذلالهم وفيها يرجعون إلى الله فلا تدعون سواء كما قال تعالى في سورة النحل ٥٣ (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) وكما قال في سورة المؤمنون ٦٥ (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم لا تتصررون قد كانت آياتي تللي عليكم فكتنتم على أعقابكم تكتسون) وكما قال في سورة الإسراء ٦٧ (إذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فملما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً) وكما قال في سورة العنكبوت ٦٥ (إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون).

(الآية الثالثة عشرة)  
(في سورة محمد ١٨)

(فهل ينتظرون إلا الساعة أن تأتهم بغتة فقد جاء أشراطها<sup>٩</sup> المراد من الساعة هنا ساعة هلاك مشركي العرب. ومن أشراطها أي علاماتها ظهر ظهر محمد (ص) وظهور الإسلام، لأن ظهور دين جديد عالمة على هلاك وأضحم حال من لم يؤمن به ولم يتبع أو أمره ونواهيه وتعاليمه الصالحة المفيدة التي ترقى أتباهه وتسعدهم فكما أن عيسى عليه السلام لساعة هلاك قومه ومن لم يؤمنوا به من اليهود فكذلك محمد عليه السلام لساعة هلاك مشركي العرب من قومه الذين لم يؤمنوا بدعوته. وليس المراد بها هنا ساعة القيمة كما يقول المفسرون لأن قوله تعالى (فقد جاء أشراطها) يبعد ذلك كل البعد لأنه يفيد أن الأشراط أي العلامات قد جاءت بالفعل مع أن ساعة القيمة لا تزال بعيدة جداً فكيف يكون ما حصل من القديم جداً عالمة على ما هو بعيد جداً مع أن الشيء لا يكون عالمة على شيء آخر إلا إذا كان حصوله قريباً منه حتى يكون عالمة عليه وإنما يكون عالمة عليه بالبداية).

(الآية الرابعة عشرة)  
(في سورة القمر ١)

(اقربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) إلى آخر الآيات المتعلقة بهذا الشأن فإن المراد من الساعة هنا ساعة هلاك المشركين بظهور سيد المرسلين وانشقاقه قمراً منيراً على الخلق أجمعين وإشراقه سراجاً وهاجاً في السموات والأراضين، وإبطاله لشرك المشركين لأن اقتراب الساعة بانشقاق القمر إنما يصح على هذا المعنى لا غيره كما أوضحنا ذلك تمام التوضيح في رسالتنا المسماة (انشقاق القمر) المطبوعة سنة ١٣٩٤هـ.

(الآية الخامسة عشرة)  
(في سورة النازعات ٤٢)

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكرها إلى ربها منها، إنما أنت منذر من يخشها، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو صحاها) إن الساعة في هذه الآية يصح أن يراد بها ساعة هلاك الكافرين في الدنيا التي عبر عنها قبل هذه الآية

بالراحفة مرة وبالطامة الكبرى مرة أخرى فسألوا النبي (ص) عن موعد تتحققها فأجاب بأن علمها عند الله وأن منتهاها إليه وإنك أنت لست إلا مذراً لمن يخشىها وإنهم يوم يرونها يلثوا بعد رؤيتها لها إلا عشية أو صحاها. وهذا يشعر بأن هذه الساعة المسئول عنها ستائياً في الدنيا وأنهم سيهلكون بعد رؤيتها لها في عشية أو صحاها. وأما ساعة الآخرة التي سوف يرون فيها جزاء أعمالهم فإنها لا تنتهي في وقت قصير بل سوف تدوم عليهم دهوراً وأحقاباً إلا أن شاء الله.

ويحتمل أن تكون كلمة (فييم) محل وقف وأن يكون قوله (أنت من ذكرها) كلاماً مستأنفاً أي ويسألونك عن الساعة (فييم) أي في أي شيء يكون سؤالهم عنها مع أنك أنت من ذكرها أي أن وجودك الآن فيهم من ذكرى ساعتهم ومن علامات هلاكم وأن منتهي ساعتهم هذه وأخر عذابهم فيها يكون برجوعهم إلى الله بالأيمان وصالح الأعمال أو برجوعهم إليه بالموت والفناء.

ويحتمل أن يكون معنى قوله (فييم أنت من ذكرها) أي إنك أنت الآن لا شأن لك في ذكرها ولا فائدتك من تحديد وقتها كما يسألون لأنك إنما جئت مذراً بها لا محدداً لوقتها إذ لا يعلم وقتها المحدد لها إلا الله تعالى كما قال في سورة الأعراف (يسألونك عن الساعة أين مرساها قل إنما علمها عند ربها لا يجلوها لوقتها إلا هو) وعلى كل فإن هذه الساعة تكون في الدنيا وإن كان لا مانع من تفسيرها بساعة الآخرة.

هذه خمس عشر آية من القرآن تدل على أنه قد يراد من الساعة في (ص ٧١) .... ساعة هلاك أو إسعاد الأمم في الدنيا حسب استحقاقهم لذلك. وأنا ..... أن كل الآيات التي فيها ذكر الساعة تعني ذلك فقط بل أقول .... يحتمل الأمرين معاً وبعضها يحتمل أحدهما دون الآخر وذلك ... سياق الآيات وفهو معاينها.

..... وبالجملة فإن الساعة في القرآن الكريم يراد بها الساعة الصغرى وهي .... تحصل في الدنيا. وقد يراد بها الساعة الكبرى وهي ساعة يوم القيمة. ..... الساعة الصغرى التي تكون في الدنيا فهي التي تأتي الناس بعنته في الغالب كما في قوله تعالى (بل تأتهم بعنة فتبهبون فلا يستطيعون ردتها ولا هم ينظرون) وقوله (تأخذهم وهو يخصمون لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) وقوله (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتهم بعنة وهم لا يشعرون) وقوله (ولا يزال الدين كفروا في مرية منه أي من القرآن - أو من محمد (ص) - حتى تأتهم الساعة بعنة) إلى غير ذلك من الآيات الأخرى الكثيرة التي قدمنا لك بعضها والتي تفيد أن الساعة التي تأتي بعنة هي الساعة الصغرى التي تحصل في الدنيا كما هو سياق هذه الآيات وغيرها. وأما الساعة الكبرى التي هي يوم القيمة فهذه لها علامات كثيرة مشاهدة فلا تكون بعنة إذ الشيء الذي تسبقه علامات لا يكون مجئه بعنة بل يكون معلوماً بعلامات مفهومة بأماراته. وقد حفقت هذا الموضوع بأوضح من ذلك في غير هذا الموضع.